

الفصل الثالث

فضل الإخلاص وخطر الرياء

● فضل النية والإخلاص :

لا غرو - إذا كان هذا شأن النية وأهمية الإخلاص - أن تتكاثر النصوص من القرآن والسنة في بيان فضلها ومنزلتها في الدين .

وقد أمر الله في كتابه بالإخلاص ، وحثَّ عليه في أكثر من سورة ، وخصوصاً في القرآن المكي ؛ لأنه يتعلق بتجريد التوحيد ، وتصحيح العقيدة ، واستقامة الوجهة ، فقال تعالى لرسوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (١) .

وقال له : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ (٢) .

وقال له : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً ﴾ (٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ (٥) .

(٣) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

(٢) الزمر : ١٤ - ١٥

(١) الزمر : ٢ - ٣

(٥) النساء : ١٢٥

(٤) البينة : ٥

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (١) .

وقد بينا أن القرآن يذكر النية والإخلاص بصيغ مختلفة ، مثل : إرادة الآخرة ، وإرادة وجه الله تعالى ، أو ابتغاء وجهه وابتغاء مرضاته ، وذكرنا من آيات كتاب الله ما يدل عليه .

وأحياناً يُعبّر عن ذلك بقوله : ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وخصوصاً مع الإنفاق والجهاد والقتال . وقد صح الحديث أن القتال لا يكون في سبيل الله ، إلا إذا كان هدفه وغايته : أن تكون كلمة الله هي العليا ، ومثل ذلك يقال في الإنفاق والجهاد بكل صوره ، فلا يكون ذلك في سبيل الله ما لم يتحرر المقصود منه ، وهو إعلاء كلمة الله .

وقد بين القرآن الفرق بين غاية المؤمنين وغاية الكافرين في قتالهم ، فقال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ (٢) ، فالأولون يقاتلون لإعلاء كلمة الله ، وهي كلمة التوحيد والحق والعدل والخير ، التي تتمثل في دينه وشرعه ، والآخرون يقاتلون ، لإعلاء كلمة الطاغوت ، وهو كل ما يُعبد أو يُعظَّم ويُطاع طاعة مطلقة من دون الله ، وهي كلمة الشرك والباطل والظلم والشر والطغيان .

وكم أشاد القرآن بالمخلصين الذين لم يريدوا بأعمالهم إلا وجه الله تعالى ، يبتغون مرضاته ، ولا يركضون وراء رضا الناس وثنائهم .

من هؤلاء : الأبرار الذين يُطعمون الطعام لوجه الله ، لا يريدون من أحد جزاءً ولا شكوراً ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (٣) .

(٣) الإنسان : ٥ - ١٠

(٢) النساء : ٧٦

(١) الكهف : ١١٠

ومن هؤلاء : المنفقون أموالهم في سبيل الله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

ومنهم : الذين أمر الله خاتم رسله ، وصفوة خلقه ، أن يصبر معهم ، ولا تعدو
عيناه إلى غيرهم من أصحاب البريق الذي يخطف الأضواء ، فقال تعالى :
﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ،
وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٢) .

ومنهم : أولو الألباب ، الأوفياء بعهد الله ، الذين صبروا على طول
الطريق ، وعلى أذى قُطَاعه ، وكان صبرهم ابتغاء وجه الله ، لا طلباً للثناء ،
ولا مخافة من ذمهم ، ولا جرياً وراء دنيا ، ولهذا مدحهم الله بقوله :
﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عِزِّي الدَّارِ ﴾ (٣) .

ليس المهم أن تعمل العمل ، إنما المهم أن تبتغي به وجه الله سبحانه ،
وبذلك تضمن قبوله عند الله ، والمثوبة عليه في الآخرة . يقول تعالى : ﴿ لَا خَيْرَ
فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ،
وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

ومن الأحاديث التي تذكر هنا : ما جاء في الترغيب في الحب لله ،
والبغض لله ، والعطاء لله ، والمنع لله ، فذلك كله بعض مظاهر الإخلاص ومعانيه .

فعلن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَى
لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ » (٥) .

(٢) الكهف : ٢٨

(١) البقرة : ٢٦٥

(٤) النساء : ١١٤

(٣) الرعد : ٢٢

(٥) رواد أبو داود والضياء ، كما في صحيح الجامع الصغير (٥٩٦٥) .

وعن أنس عن النبي ﷺ : « ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر ، بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُقذف في النار » (١) .

وعن ابن مسعود وابن عباس والبراء مرفوعاً : « أوثق عُرا الإيمان : الموالاة في الله ، والمعادة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله » (٢) .

وفي الحديث القدسي عن عبادة بن الصامت : « قال الله تعالى : حقت محبتي للمتحابين فيّ ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ ، وحقت محبتي للمتبادلين فيّ ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغطهم بمكانهم النبيون والصدّيقون والشهداء » (٣) .

ومن ذلك : الأحاديث التي تُنوّه بالمغمورين الذين لا يتبوؤن المراكز الاجتماعية المرموقة ، ولا يتمتعون بصيت ولا شهرة .

كما في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم : « رَبِّ أَشعث مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره » . وفي رواية الحاكم : « رَبِّ أَشعث أغبر ذى طمرين ، لا يؤبه له ، تنبو عنه أعين الناس ، لو أقسم على الله لأبره » (٤) .

(١) متفق عليه . اللؤلؤ والمرجان (٢٦) .

(٢) رواه الطيالسي والحاكم والطبراني في الكبير والأوسط عن ابن مسعود ، والطبراني عن ابن عباس ، وأحمد وابن أبي شيبة وابن نصر عن البراء كما في صحيح الجامع الصغير (٢٥٣٩) .

(٣) رواه أحمد والطبراني والحاكم عن عبادة ، كما في صحيح الجامع الصغير (٤٣٢١) .

(٤) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣٢٨/٤) .

وحدیث سهل بن سعد عند البخاری ، قال : « مرَّ رجل على النبي ﷺ ، فقال لرجل عنده جالس : « ما رأيك في هذا » ؟ قال : رجل من أشرف الناس ، هذا والله حرى إن خطب أن يُنكح (أى يزوّج) ، وإن شفع أن يُشفع ! فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجل ، فقال رسول الله ﷺ : « ما رأيك في هذا » ؟ قال : يا رسول الله ؛ هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا أحرى إن خطب ألا يُنكح ، وإن شفع ألا يُشفع ، وإن قال ألا يُسمع لقوله ! فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » ! (١) .

وحدیث ثوبان : أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ، ولو سأله درهماً لم يعطه إياه ، ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها » (٢) .

ومن الآثار في ذلك : ما كتب به عمر بن الخطاب إلى أبي موسى يقول : من خلصت نيته لله ، كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس .
وكان مطرّف يقول : من صفا صفي له ، ومن خلط خلط عليه .

وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ، ويقول : يا نفس أخلصي تتخلصي !
وكتب بعض الصالحين إلى أخ له : أخلص النية في أعمالك يكفك منها القليل .

وقال الجنيد : إن لله عبادةً عقلوا ، فلما عقلوا عملوا ، فلما عملوا أخلصوا ، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع .

* *

(١) رواه البخاری في صحيحه (البخاری مع الفتح : ١١٧/٩ ، ٢٣٦/١١) ولم يروه مسلم كما وهم المنذرى في الترغيب والترهيب ، والنووى في رياض الصالحين .
(٢) قال العراقي في تخريج « الإحياء » ، رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح .

● التحذير من الرياء :

وكما حفلت نصوص الكتاب والسنة بالترغيب في النية والإخلاص والصدق ، حفلت كذلك بالترهيب والتحذير من آفة الرياء ، وابتغاء وجه الناس - لا وجه الله - بعمل الآخرة .

كما حذرت ورهبت من أمر آخر ، هو : حب الجاه والشهرة والمنزلة في قلوب الخلق .

* *

● القرآن يُحذّر من الرياء والمرائين :

إن الرياء من معاصي القلوب الشديدة الخطر على النفس وعلى العمل ، وهو من الكبائر الموبقة ، ولهذا اشتد الوعيد عليه في القرآن والحديث .

لقد جعله القرآن من أوصاف الكفرة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، أو المنافقين الذين يقولون : آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم .

يقول تعالى : ﴿ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقال في سورة أخرى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ
وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ
قَرِينًا ﴾ (٢) .

فهذا رياء الكفار الذين لا يؤمنون بالمبدأ ولا بالمعاد ، فلا يُتصور منهم أن يعملوا لله ولا للدار الآخرة .

(٢) النساء : ٣٨

(١) البقرة : ٢٦٤

وإذا كانت نفقتهم رياء ، فإن خروجهم للقتال والغزو رياء كذلك ، لا نصيب فيه لله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) .

وأما المنافقون فقد قال تعالى في شأنهم : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (٣) فتوعدهم الله تعالى بالويل ، وهو الهلاك والعذاب .

* *

● الأحاديث النبوية ترهب من خطر الرياء :

وأما الحديث فكثير ، أكتفى منه بما انتقيته من كتاب « الترغيب والترهيب » للحافظ المنذرى .

فقد ذكر فى « الترهب من الرياء » جملة من الأحاديث ، انتقيت منها عشرة (٤) ، بدأها بالحديث الخطير ، الذى رواه مسلم وغيره ، ونصه فى صحيح مسلم :

عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ ، فَأَتَىٰ بِهِ ، فَعَرَفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ . قَالَ : كَذَبْتَ ،

(١) الأنفال : ٤٧ (٢) النساء : ١٤٢ (٣) الماعون : ٤ - ٧

(٤) أعنى فى كتابى « المتقى من الترغيب والترهيب » للحافظ المنذرى .

ولكنك قاتلت لأن يُقال : هو جريءٌ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت لي قال : عالمٌ ، وقرأت القرآن لي قال هو قارئٌ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت لي قال : هو جوادٌ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار « (رواه مسلم والنسائي ، ورواه الترمذي وحسنه ، وابن حبان في صحيحه ، وكلاهما بلفظ واحد) .

أقول : وفيه أن معاوية لما بلغه هذا الحديث ، بكى حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال : صدق الله ورسوله . قال الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ﴿ (١) .

وقد يسأل بعض الناس : لماذا هذا العذاب والوعيد الذي يتطاول شرره ، وقد فعل الخير ؟ والجواب : أن الإسلام يهتم بالبائع على العمل أكثر من العمل نفسه ، وقد علم بالفطرة أن التزوير من الإنسان على إنسان مثله من شر الرذائل ، وأبشع الجرائم ، فإذا كان التزوير من المخلوق على خالقه ، فالجريمة أبشع وأشنع ، وهذا هو عمل المرائي ، يعمل لوجه الناس ، وهو يريد أن يريده الله ، كذباً وزوراً ، فلا غرو أن يفضحه الله يوم تبلى السمائر ، وأن

(١) هود : ١٥ - ١٦

يُسحب على وجهه إلى النار ! ولذلك قال قتادة : إذا رأى العبد قال الله ملائكته : انظروا إليه كيف يستهزئ بي ؟!

وعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ وَالذِّينِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ عَمَلَ مِنْهُمْ عَمَلًا لِدُنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْأَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » (رواه أحمد (١) ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم ، والبيهقي ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد) (٢) .

وفى رواية للبيهقي قال : قال رسول الله ﷺ : « بَشَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ ، وَالسَّنَاءِ ، وَالرَّفْعَةِ بِالذِّينِ ، وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ ، وَالتَّصْرِ ، فَمَنْ عَمَلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْأَخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْأَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » .

وعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهِ بِهِ ، وَمَنْ يَرَأَ يَرَأَ اللَّهَ بِهِ » (رواه البخارى ومسلم) .

« سَمَعَ » - بتشديد الميم - ومعناه : مَنْ أظهر عمله للناس رياءً أظهر الله نيته الفاسدة فى عمله يوم القيامة ، وفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ .

وعن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُومُ فِي الدُّنْيَا مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ إِلَّا سَمَعَ اللَّهُ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (رواه الطبرانى بإسناد حسن) (٣) .

وعن محمود بن لبيد قال : خرج النبي عليه الصلاة والسلام فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ يَاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ » . قالوا : يا رسول الله ؛ وما شرك

(١) وقال الهيثمى : رواه أحمد وابنه من طرق ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، كما فى المجمع (٢٢٠/١٠) ، وهو فى « الموارد » برقم (٢٥٠١) .

(٢) ذكر المناوى فى الفيض : أن الذهبى أقره فى موضع وردده فى آخر ، وهذا صحيح ؛ لاختلاف الإسنادين فى الموضوعين ، انظر : (٣١١/٤) ، وفيه وافق الذهبى الحاكم ، والآخر (٣١٨/٤) وفيه تعقبه .

(٣) وكذا قال الهيثمى (٢٢٣/١٠) .

السراير؟ قال : « يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيُ فَيَزِينُ صَلَاتَهُ جَاهِداً لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ شِرْكُ السَّرَائِرِ » (رواه ابن خزيمة فى صحيحه) (١) .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن عمر رضى الله عنه خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال :

حديث سمعته من رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال : « الْيَسِيرُ مِنَ الرِّبَاءِ شِرْكٌ ، وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ (٢) فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ ؛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يَعْرِفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ » (رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى فى كتاب الزهد له وغيره ، وقال الحاكم : صحيح ولا علة له) (٣) .

وعن محمود بن لبيد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « إِنْ أَخُوفٌ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ » . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرِّبَاءُ . يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِذَا جَزَى النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنتُمْ تَرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا : هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً ؟ ! » (رواه أحمد بإسناد جيد (٤) ، وابن أبى الدنيا ، والبيهقى فى الزهد وغيره) .

-
- (١) وهو الحديث (٩٣٧) منه ، وفى هامشه نبه الألبانى على أنه من رواية ابن لبيد عن جابر ، كما أخرجه البيهقى فى السنن (٢/٢٩٠ ، ٢٩٨) .
- (٢) أولياء الله : هم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يونس : ٦٣) ، وهذا فى معنى الحديث القدسى عند البخارى : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ » .
- (٣) رواد فى موضعين ووافقه الذهبى (٤/١ ، ٤/٣٢٨) ، وأما فى زوائد « ابن ماجه » فصعفه بآبن لهيعة ، مع أن الراوى عنه هو عبد الله بن وهب ، والتحقيق : أنه إذا روى عنه أحد العبادة - ومنهم ابن وهب - فحديثه مقبول ، ويصححه كثير من المحققين ، وكان الأولى أن يضعف يعيسى بن عبد الرحمن - فى سند ابن ماجه - وهو متروك ، وسند الحاكم فى الموضوع الأول ليس فيه ابن لهيعة ولا يعيسى : فهو العمدة ، وانظر : تخريجنا للحديث فى رسالة « نحو مشروع سوسوعة للمحدثين النبوي » ، كما رواه الطبرانى من حديث ابن عمر ، وفى سنده ضعف ، كما قال الهيثمى فى المجمع .
- (٤) وقال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (١/١٠٢) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قال : « قال الله عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ؛ فَمَنْ عَمِلَ لِيْ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِيْ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيٌّ ، وَهُوَ لِلَّذِيْ أَشْرَكَ » (رواه ابن ماجه واللفظ له ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى ، ورواه ابن ماجه ثقات) (١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصُحُفٍ مُّخْتَمَةٍ ، فَتُنصَبُ بَيْنَ يَدَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَلْقُوا هَذِهِ ، وَاقْبَلُوا هَذِهِ ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : وَعَزَّتْكَ وَجَلَّالِكَ مَا رَأَيْنَا إِلَّا خَيْرًا ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنَّ هَذَا كَانَ لِعَیْرِ وَجْهِيْ ، وَإِنِّي لَا أَقْبَلُ إِلَّا مَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهِيْ » (رواه البزار والطبرانى بإسنادين ، رواه أحدهما رواة الصحيح (٢) ، والبيهقى) .

وعن أبي على - رجل من بنى كاهل - قال : خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ اتَّقُوا هَذَا الشُّرْكَ ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَزَنٍ وَوَيْسُ بْنُ الْمُضَارِبِ ، فَقَالَا : وَاللَّهِ لَتَخْرُجَنَّ مِمَّا قَلْتَ أَوْ لَنَأْتِيَنَّ عَمْرُ مَادُونًا لَنَا أَوْ غَيْرَ مَادُونَ ، فَقَالَ : بَلْ أَخْرَجَ مِمَّا قَلْتَ ، خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ اتَّقُوا هَذَا الشُّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ » فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ : وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « قُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ » (رواه أحمد والطبرانى ، ورواه إلى أبي على محتج بهم فى الصحيح ، وأبو على وثَّقه ابن حبان (٣) ، ولم أر أحدًا جرَّحه .

(١) وهو الحديث (٤٢٠٢) ، وفى الزوائد للبوصيرى : إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، من سنن ابن ماجه ، وفات المنذرى أن يسنده إلى مسلم وهو فى كتاب « الزهد » منه ، ولكن لم يقل فيه : « فأنا منه برى » ، بل قال : « تركته وشريكه » .
(٢) قال الهيثمى (٣٥٠ / ١٠) : رواه الطبرانى فى الأوسط بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ، ورواه البزار .
(٣) ونحو هذا قاله الهيثمى ، إلا أنه عزاه إلى الطبرانى فى الكبير والأوسط (٢٢٣ / ١٠ ، ٢٢٤) .

ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه : « يقول كل يوم ثلاث مرات » (١) .

وكما حذرت الأحاديث النبوية من آفة الرياء ، حذرت من آفة أخرى هي : حب الجاه والشهرة ، والحرص على علو المكانة عند المخلوقين .

وقد جاء في بعض الآثار : « حب المال والجاه يبتان النفاق في القلب ، كما ينبت الماء البقل » (٢) .

وربما كان حب الجاه والمنزلة عند بعض الناس أهم بكثير من حب المال ، فقد يبذل المال طيب النفس ، ليحصل على الجاه والشهرة ، وقد ذكر الإمام الغزالي أن الجاه أهم من المال لأوجه ثلاثة ذكرها . . .

وقد جاء مرفوعاً من حديث كعب بن مالك : « ما ذئبان جائعان أرسلتا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » (٣) .

والمراد بالشرف في الحديث : المكانة والجاه عند الخلق .

وكل ما مضى من النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، في التحذير من الرياء ، وحب المال والجاه والشهرة ، يدلنا بكل جلاء على خطر معاصي القلوب ، وآفات وأثارها المدمرة للأعمال التي ظاهرها الصلاح ، ولهذا كانت طاعات القلوب مُقدّمة على طاعات الجوارح ، والإخلاص في مقدمة هذه الطاعات ، لأنه شرط قبولها كلها ، فما حقيقة هذا الإخلاص؟؟ هذا ما نبينه في الفصل التالي .

* * *

(١) أورده الهيثمي في المجمع وتكلم عليه (١٠/٢٢٤) .

(٢) ذكره الغزالي في « الإحياء » على أنه حديث مرفوع ، وقال العراقي : لم أجد .

أقول : فحسبه أن يكون من كلام بعض السلف .

(٣) رواه أحمد والترمذي عن كعب ، كما في صحيح الجامع الصغير (٥٦٢٠) ،

والنسائي في « الكبرى » كما في تخريج أحاديث « الإحياء » للحافظ العراقي ، وقال

الترمذي : حسن صحيح . وشرحه الحافظ ابن رجب في رسالة مستقلة .